مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ ISSN: 1112- 7872
E-ISSN: 2600-6162
مجلد: 18 عدد: 01 أوت 2022
العنوان: صورة الملكة تيهيا من خلال مصادر العصر... ص.ص 308- 321.

صورة الملكة تيهيا من خلال مصادر العصر الوسيط" قراءة في الصورة الأنثوية "

The Picture of Queen Tahia through Middle Age Sources "Reading of a Sample of the Feminine Picture"

وداد صالحي[1]، قمعون عاشوري[2]
1- جامعة الوادي- الجزائر
salhi-ouidad@univ-eloued.dz
2- جامعة الوادي- الجزائر
achouriguemaoun@yahoo.fr

تاريخ الإرسال:2020/10/06؛ تاريخ القبول:2021/04/16

الملخص:

تهدف الدراسة إلى وجوب النبش عن الصورة التي صورت بها الملكة تيهيا من خلال مصادر العصر الوسيط، ولماذا التركيز على الجانب الأنثوي دون غيره، بالرغم من إنجازاتها الكبيرة، وتتبعها بالتدقيق والتحليل؟

وخلصت الدراسة إلى أن المؤرخين قد صوروا لنا الملكة تيهيا، على أساس المرأة الضعيفة, ناقصة عقل ودين, وتلك المرأة ذات الإرادة الضعيفة, فقد غلبت عليهم ظاهرة التركيز على الجانب الأنثوي فقط, وهي شخصية نسائية أثبتت حضورها وبقوة بين قادة الحروب.

الكلمات المفتاحية:
الملكة تيهيا؛ الصورة الأنثوية؛ المرأة؛ حسان بن النعمان؛ المصادر.

Abstract:

This study aims at investigating the image through which Queen Tehia was portrayed through the sources of the Middle Ages, and why the focus was on the female side alone, despite her great achievements, and follow it with analysis?

The study concluded that historians portrayed queen Tehia as weak women, lacking mind and religion, and as a woman with weak will. they were dominated by the phenomenon of focusing on the female side only although she was a female figure who proved her presence strongly among the leaders of wars.

Keywords: Queen Tahia; The Female Image; Women; Hassan Bin Al-Nu'man; Sources.

مقدمة:

المرأة جزء لا يتجزأ من المجتمع, وهي عنصر يتفاعل مع جميع عناصر المجتمع من عادات وتقاليد وسياسة واقتصاد, فلابد من أنها كانت تتأثر بكل ما يحيط بها وتؤثر فيه بطريقة مباشرة وغير مباشرة, ومع هذا لا نجد من كتب عن تاريخ النساء في المغرب الإسلامي, مثلما كتب عن تاريخ الرجال, ويتضح هذا الكتم التاريخي في جل مصادر العصر الوسيط, فكيف صورت الملكة تيهيا في مصادر العصر الوسيط؟, ومن هنا تهدف هذه الدراسة إلى النبش في تاريخ الملكة تيهيا, وكيف صورها المؤرخون في كتب التاريخ؟ ولماذا التركيز على الجانب الأنثوي عند ذكر أخبارها؟ ألم تكن ذات شخصية قيادية في قومها, وهزم أمامها أكبر قادة العرب " حسان بن النعمان", وأحرجت بذلك الدولة الأموية بكل رجالها, فلماذا أصر المؤرخون على رسم صورة للكاهنة على أنها المرأة الضعيفة ناقصة العقل والدين, وذات إرادة ضعيفة, وإبراز المظاهر الأنثوية من خلال تصرفاتها في قضية " نشر شعرها" وإرضاع الكبير وحرق إفريقيا وممارستها للكهانة, كل ذلك مستمد من الخلفية الذهنية للمؤرخ" الذكر" المستمدة من نظرة المجتمع للمرأة, وللوصول إلى إجابة شافية وكافية للإشكاليات اعتمدنا على المنهج التاريخي التحليلي لأنه الأنسب لمثل هذا الطرح.

-الملكة تيهيا بين الحقيقة والأسطورة:

مازالت شخصية الملكة تيهيا يحيطها الغموض, لقلة المصادر التي تحدثت عنها, وحتى المعلومات التي قد وردت تتضارب حولها الآراء,

بين من ينكر وجودها من الأساس مثل المؤرخ ليبون الذي قال:"... أحاط العرب الذين يغرمون بغريب الحديث غراما شديدا,... فيذهبون كما تزعم روايتهم إلى أنه كانت هناك ملكة للبربر تسمى الكاهنة تمكنت من هزيمة العرب أول الأمر, وهذا كما استبان لنا من أوثق العلماء ليست إلا البطريق يوحنا نفسه, أظهره المؤرخون في شكل امرأة لأنه كان خصيا..." (بن قربة، 2012: 30), وهذا الرأي غير صحيح لأن المصادر الإسلامية تؤكد وجود شخصية البطريق يوحنا الذي استولى على مدينة قرطاجنة (أنظر التعليق رقم: 1), ووجود شخصية الملكة تيهيا ومقاومتها للفاتحين لبلاد المغرب, وقد ذكرها الواقدي(207-130هـ/ 823-747م) وابن الأثير(555-630هـ/1160-1233م) وابن عبد الحكم(187- 257هـ/ 803-871م), وابن خلدون(732- 808هـ/ 1332- 1406م) في قوله" ... وكانت زناتة أعظم قبائل البربر وأكثرها جموعا وبطونا, وكان موطن جراوة منهم بجبل أوراس... وكانت رياستهم للكاهنة دهيا بنت ماتية..." (ابن خلدون، 2000: 68- 74) (أنظر التعليق رقم: 2).

ويمكن ترجيح هذا التضارب في الآراء, أن أحداث الوقائع الحربية بين الملكة تيهيا والجيش الأموي جرت مابين سنتي(37- 73هـ/ 658-693 م) أي أن الأحداث وقعت أواخر القرن السابع الميلادي, وتدوين الوقائع التاريخية تأخر إلى غاية القرن الثامن الميلادي, وذلك بعد قرن ونصف من وقوع الأحداث, وفي تلك الفترة الزمنية (قرن ونصف) ظلت تروى شفهيا فتخللتها الزيادة والنقصان, ومزج فيها الخيال والأسطورة.

-اسم الملكة تيهيا من خلال الكتب المصدرية:

يعتبر اسم الملكة تيهيا من الإشكاليات التي تطرح كثيرا, ونعتقد أن اسم المرأة عموما في ذهنية المجتمع لا يصح ذكره للعوام (فيعتبر عورة), ونفسه المجتمع الذي يستمد منه المؤرخ ذهنيته, فقد وجدنا انتقادا موجها من ابن عبد الملك المراكشي(634- 703هـ/ 1237-1304م) في مقدمة كتابه الذيل والتكملة (أنظر التعليق رقم: 3) , لابن الآبار عن ذكره للنساء في مؤلفه مع أهل العلم , وهم خاصة عباد الله (المراكشي، 2012: 13) على حد قوله, فاعتبر المراكشي ذكر النساء

مع العلماء انتقاصا لقيمتهم, وجعل المرأة كنجاسة تدنس أي مؤلف تذكر فيه.

وعند ذكر المؤرخ للنساء فإنه يجعل ذكرها من خلال خطاب موجه تحديدا للرجل, وهو ورود اضطراري لكي لا يقع في خلل منهجي ومعرفي, ولهذا لم تمدنا المصادر التاريخية التي تناولت الفتح الإسلامي لبلاد المغرب بمعلومات كافية حول الملكة تيهيا, والنص الأول الذي وصلنا عن هذه الملكة هو نص المؤرخ المشرقي الواقدي, وكل من جاء بعده أخذ منه, فكان هناك تكرار نفس المعلومات مع بعض الفوارق والإضافات, وربما يعود هذا الأمر إلى قلة معلومات المؤرخين عن بلاد المغرب وكذا عدم هضم تلك المصادر لانهزام الجيش الإسلامي أمام امرأة .

لم يعطينا الواقدي الاسم الحقيقي للملكة تيهيا بالرغم من أنه أول من ذكرها, فلم يورد سوى أنها كاهنة وملكة على البربر وحكمت كل افريقية, ويبدو أنه قد نقل المعلومات عنه ولم يضف لنا كل من: المؤرخ البلاذري (297هـ/910م) و المؤرخ أبو بكر عبد الله محمد المالكي (ت 449هـ /1058م) والبكري (487-404هـ/ 1014-1094م) شيئا فيما يخص اسم وأصل الملكة واكتفوا بتكرير نفس رواية الواقدي, مع التأكيد على أن اسمها الكاهنة.

أما ابن الأثير يعتبر أول من ذكر بأن الملكة تيهيا سميت الكاهنة لممارستها الكهانة والسحر والشعوذة في قوله:''...فدلوه على امرأة تملك البربر تعرف بالكاهنة... وكانت تخبرهم بأشياء من الغيب ولهذا سميت الكاهنة ...وكانت بربرية وهي بجبل أرواس وقد اجتمع حولها البربر بعد قتل كسيلة...'' (ابن الأثير، (د, ت): 135- 136).

ويعد المؤرخ ابن خلدون الوحيد الذي أعطانا الاسم الحقيقي للملكة وهو (دهبا) حيث قال:" ... وكانت زناته أعظم قبائل البربر وأكثرها جموعا وبطونا, وكان موطن جراوة منهم بجبل أوراس وهم ولد كراو بن الديرت بن جانا(شانا) وكانت رياستهم للكاهنة دهبا بنت ...بن نبعان بن بارو (وقيل بن فيقان بن بارو) بن مصكسرى بن أفرد بن وصيلا بن جراو, وكان لها بنون ثلاثة ...وبما كان لها من الكهانة

و المعرفة بغيب أحوالهم وعواقب أمورهم فانتهت إليها رياستهم" (ابن خلدون، 2000: 12).

والاسم الوارد عند ابن خلدون هو دهبا, أما في المصادر العربية فهو ديهيا بالدال المهملة ولكن الأبحاث اللغوية الحديثة ترجح أن يكون اسمها قد حرف في اللسان العربي لقرب مخرج حرفي التاء و الداء, فيكون الاسم الصحيح هو تيهيا وما يعزز ذلك احتفاظ لهجة السوس الأقصى إلى اليوم به, ويعني" المرأة الحسناء", وابن خلدون يؤكد لنا ممارسة الملكة تيهيا عملية الكهانة لذلك لقبت بالكاهنة (ابن خلدون، 2000: 11), ولقد نقل هذا الخبرعن المؤرخ ابن الأثير ويؤكدها هو بنفسه في نصه ,أما عن نسبها وأصلها فيرجعها ابن خلدون كغيره من المؤرخين إلى قبيلة جراوة الزيانية التي كانت تحكم جبال الأوراس.

بالرغم من أننا لا نعرف اسم الملكة الحقيقي وكل ما تقدم به المؤرخون حول اسمها هي صفات لشخصية الملكة, إلا أنه يعتبر اعترافا منهم بهذه المرأة, لوجودها فعلا كعائق أمام الفاتحين.

-قضية إرضاع الكبير(التبني) :

طرح ابن عبد الحكم قضية تبني الكاهنة لخالد بن يزيد العبسي (أنظر التعليق رقم: 4), وتناقلها المؤرخون منه, فقد ركزوا حول قضية التبني, وذلك من أجل التقليل والحط من انجازاتها فأظهرتها بصورة الأنثى التي أعجبت بشجاعة وجمال رجل حسب ما ورد على لسان ابن عذارى المراكشي في قوله" ما رأيت من الرجال أجمل منك ولا أشجع, أنا أريد أن أرضعك فتكون أخا لولدي..." (ابن عذارى المراكشي، 1983: 26) فلم تجد بدا إلا بالمؤاخاة بين ابنيها وخالد بن يزيد, وقد وضعت صورة الملكة تيهيا محل جدل أخلاقي بين المفكرين أمثال كوفي(Gauvet) الذي اتهمها بالتحايل من أجل اتخاذ خالد بن يزيد خليلا لها عن طريق الرضاع, ولكي تجنب نفسها من العار (بن عميرة، 1986: 23), ولكن كوفي(Gauvet) تناسى قضية كبر سن الملكة تيهيا, التي كان عمرها حوالي مئة وسبعة وعشرين سنة, هذا إذا افترضنا أن قصة خالد بن يزيد العبسي صحيحة بالأساس, وهنا نطرح سؤالا إلى أي مدى كان وجود قصة خالد بن يزيد خادمة للنص التاريخي الأموي؟ أو هي عبارة عن قصة خيالية لربط الأخبار فيما

بينها, وإظهار الملكة تيهيا بصورة المرأة الضعيفة الجالبة للعار, والحط من إنجازاتها كامرأة وقفت في وجه أكبر قوة في تلك الفترة, ونحن نعرف مسبقا أن النص التاريخي فيه مزج بين الحقيقة والخيال خدمة لتاريخ المنتصر, فلا نستبعد هذا الأمر في هذه الحادثة, وخصوصا إذا تطرقنا إلى تاريخ الذهنيات نجد أن المجتمعات المشرقية تعتبر المرأة مصدر للبدع والشرور بغض النظر عن مكانتها.

بالرجوع لرواية الواقدي نجد أن الملكة تيهيا قتلت رفقة ابنيها في المعركة ضد حسان بن النعمان (أنظر التعليق رقم: 5) حيث ذكر "...فسار حسان بجيشه وقاتل الكاهنة وقتلها, هي وأبناءها وعاد إلى القيروان "(ابن الأثير، (د, ت): 371), وهذه الرواية تخالف رواية التبني التي ذكرها ابن عبد الحكم وكررتها المصادر الأخرى من بعده, وتنفي وجود شخصية خالد بن يزيد تماما .

وبالرغم من هذا نجد المؤرخ ابن عبد الحكم ممن تفرد بتفاصيل عن تاريخ الملكة تيهيا لم يذكرها غيره, فقد حدد تاريخ انطلاق حملة حسان بسنة (73هـ/ 692م), ويذكر المكان الذي دارت فيه ويضيف بأنها كانت شديدة، وحدد عدد الأسرى المسلمين بثمانين, أطلقت الملكة سراحهم ماعدا واحدا, المسمى خالد بن يزيد العبسي الذي استقبلته عندها وتبنته وهنا تتضح عملية التغيير في الرواية التي اصطبغت بالخيال الرومنسي أكثر منها تاريخية إثر هزيمة جيش حسان بن النعمان, وستكون قصة الأسير خالد بن يزيد هي القصة الرئيسية من أجل لفت الانتباه وتحويل نظرة المتتبع إليها, وذلك من أجل إعادة رسم صور نمطية للملكة و العمل على ترسيخها في أذهان الأجيال, كان لابد له من الإتيان برواية قوية فجاء برواية التبني, كوسيلة تستعملها الملكة تيهيا في عملية الصلح مع الجيش الأموي عند الحاجة(أنظر التعليق رقم: 6), وهي عموما محاولة لاستدراك الموقف لتجاوز ألآم الحرب بين العرب والبربر وبداية عهد جديد, يغلب عليه طابع التعاون والتآخي بين الغالب والمغلوب (عقون، 2011: 54).

وربما كان هدف ابن عبد الحكم هو تعزيز الأفكار بما يتلاءم و الظروف الجديدة, والتي كانت تمر بها الدولة الأموية و بلاد المغرب

في النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي, حيث انتهت وقائع تلك المعارك, ومن ثم الإتيان بروايات تقفز على الأحداث الأليمة وتتجاوز المعارك, فكانت قصة التبني مثلما كان عند العرب بما يسمى برضاع الكبير, وما يرافقها من طقوس لها ارتباط بالأنثى دون الرجل, وهذه الطقوس نجد تفاصيلها عند المؤرخ أبي بكر المالكي في قوله:"...ثم عمدت إلى الدقيق شعير مقلو, فأمرت به فلت بزيت - والبربرتسمي ذلك البسيسة - ثم دعت خالد بن يزيد وابنين لها فأمرتهم فأكلوا ثلاثتهم منها, وقالت لهم: أنتم (الآن) قد صرتم إخوة, وذلك عند البربر من أعظم العهد في جاهليتهم إذا فعلوه" (المالكي، 1994: 52), وأوردها الرقيق القيرواني" ... فقال لها: وكيف يكون ذلك وقد ذهب الرضاع منك, فقالت: إنا جماعة الأمازيغ لنا رضاع إذا فعلناه نتوارث به, فعمدت إلى دقيق الشعير, فلثته بزيت, وجعلت على ثدييها ودعت!! ولديها وقالت لهما: كولا معه على ثدي, وقالت لهم: إنكم قد صرتم إخوة..." (الرقيق القيرواني، 1994: 47) وأوردها ابن عذارى أيضا (ابن عذارى المراكشي، 1983: 37), وهنا نجد محاولة رسم صورة نمطية حول قضية الرضاع وهو ما تختص به النساء دون الرجال, فنلاحظ التركيز العمد على وصف أدق تفاصيل الرضاع, لإبراز المعالم الأنثوية للملكة تيهيا, للتقليل من شأنها ولتأثير على مجريات الأحداث, ومنه التغطية على هزيمة حسان أمام امرأة ترضع الغريب وتتقرب من الرجال مثلها مثل أي امرأة أخرى, وهي التي قادت جيش بأكمله وسيرت الرجال, فكان المؤرخ يجد حرجا في ذكر مجريات أحداث الحرب فلا بد له من تغطيتها دون معرفة ذلك, فكان الأسلوب الوحيد للمغلوب هو التركيز على الأثر الأنثوي وجعله في قالب درامي عاطفي يتأرجح بين عاطفة الأنثى وعاطفة الأمومة, وهذا لخدمة تاريخ الأمويين على حساب البربر.

-ناقصة عقل ودين:

يذكر ابن عذارى أنها خربت مدينة باغاية (أنظر التعليق رقم: 7) لكي لا يتحصن بها حسان بن النعمان وجيشه في قوله:" وبلغ الكاهنة خبره فرحلت من الجبل في عدد لا يحصى, ولا يبلغ بالاستقصاء وسبقته إلى مدينة باغاية, فأخرجت منها الروم, وهدمتها,

وظنت أن حسان يريد ليتحصن بها منها..." (المراكشي، 2012: 35-36), وهنا صورها ابن عذارى بالمرأة المتعجلة في قراراتها, وجعلها موضع شك في رجاحة عقلها من جهة وشدة جهلها بمن خرجت لهم لتقاتلهم من جهة أخرى, لأن الحصن الذي هدمته هي أحوج الناس إليه للتحصن فيه, وأظهر حسان بن النعمان بصورة القائد الحاذق الذي خطط لهذا كله، وجعل عنصر المباغتة في الهجوم, قبل استعداد خصمه كأسلوب في حربه معها, وهو القائد المهزوم في هذه المعركة, أنظروا كيف قلب الموازين, في إخباره عن الكاهنة, وأول من ذكر قصة تخريب الكاهنة لبلاد المغرب هو المالكي, وأخذها من بعده ابن الأثير وعدد من المؤرخين حيث قال:" ...فلما بلغ الكاهنة أن حسانا مقيما بقصور لا يبرح, قالت للبربرو الروم :إنما طلب حسان من إفريقيا المدائن و الذهب و الفضة و الشجر و نحن إنما نريد المراعي و الزرع, فما أرى لكم إلا خرابها, فوجهت البربر يقطعون الشجر ويهدمون الحصون .قال ابن أنعم: وكانت إفريقية من طرابلس إلى طنجة ظلا واحدا متصلة الشجر, فأخربت ذلك كله, فخرج من النصارى ثلاثمائة رجل (يستغيثون بحسان فيما نزل بهم من الكاهنة من خراب الحصون وقطع الشجر), وفي أثناء ذلك وصله كتاب عبد الملك يأمره بالنهوض إلى إفريقية قبل أن تخربها الكاهنة , فوافق ذلك وصول الروم إليه وقدوم رسول خالد بن يزيد عليه, فرجع بجميع عسكره إلى افريقية" (ابن الأثير، (د, ت): 32).

كرر ابن الأثير نفس رواية المالكي في تخريب إفريقية وزاد فيها إضافة خطيرة، وهي أن أصحاب الملكة تيهيا لم يكتفوا بتخريب الحصون بل عمدوا إلى نهب الأموال وهذا لم يرد في رواية المالكي"...فخربوها وهدموا الحصون ونهبوا الأموال ..." وهذا غريب فكيف نهب أصحاب الملكة تيهيا الأموال من القبائل البربرية الموالية لهم, وهذا مستبعد مع العلم أن ابن الأثير يسكت عن التوضيح في هذه النقطة, والأرجح أنه كان يريد تشويه صورة الملكة تيهيا وسوء تصرفها, أو أن الملكة عمدت إلى تأديب بعض القبائل المتحالفة مع المسلمين وهو الاحتمال الوارد, لاسيما أن ابن الأثير يذكر في آخر النص أن الروم كانوا غاضبين من تصرف الملكة تيهيا وهللوا

بوصول حسان ورحبوا به, ولم يقاتلوه كما في المرة الأولى وهو الدليل على أن ولاءهم تحول عن الملكة تيهيا إلى حسان بن النعمان.

وقد صور ابن الأثير الملكة بأنها لا تملك العيون التي تخبرها عن جيش المسلمين, حيث كانت تجهل أخبار عدوها وأهدافه, مما يسقط عنها وصف الكهانة , لأنها عمدت إلى تخريب البلاد وتهديم الحصون وهي في أمس الحاجة لتلك الحصون لتحتمي بها.

وروج كل من المالكي وابن الأثير إلى فكرة سوء تصرف الملكة تيهيا عند تخريب بلاد المغرب, ظنّا منها أن المسلمين يريدون المدن و الحصون و الذهب دون الأراضي, وهذا فيه نظر لأن الملكة كانت قد هدمت حصن باغية من قبل, حسب رواية نفس المؤرخ وكذلك حسان بن النعمان لم يعرّج على الحصن ولم يلتفت إليه ومن ثمّة علمت الملكة من هذا التصرف بأن المسلمين لا يريدون الحصون, وبذلك تكون قد اكتسبت تجربة من أهداف المسلمين ومن غير المنطقي أن تعمد إلى تخريب الحصون مرة ثانية.

ويمكن القول بأن الرواية التي جاء بها كلا من المالكي وابن الأثير عن تخريب بلاد المغرب كان مبالغا فيه, فقول الواقدي يتضمن الإشارة إلى قسوة الملكة تيهيا وشدتها في نص تاريخي يعتمد على الروايات الشفوية, لتتحول في نص المالكي وابن الأثير إلى الصرامة و الحزم الذي ميّز جل القادة الحربيين ومنهم الملكة تيهيا, فقد أورد الواقدي بأن الملكة عمدت إلى تخريب افريقية لتتحول الرواية عند المالكي وابن الأثير إلى سياسة تخريب و دمار شامل, وفي المقابل لزما الصمت في شأن السبي ونهب الناس من كل ما يملكون عقب كل معركة كان يقوم بها الجيش الأموي (عقون، 2011: 56) ولم يتوقفوا عند هذا الحد بل روجوا إلى فكرة أن من قاد الجيش البربري هو أحد قادة كسيلة وليس الملكة تيهيا , فيروي البكري فيقول:"...لقي عساكر الكاهنة بأرض قابس وعلى مقدمتها القائد الذي كان مع كسيلة بن ملزم فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل صاحب خيل حسان بن نعمان وانهزم حسان وأصحابه إلى المنهل المعروف بقصور حسان..." (البكري، (د, ت): 7- 8), والمتأمل جيد في النص يجده يريد محو وصمة العار على حسان لكي لا يقال أن امرأة بربرية كافرة وساحرة وكاهنة هزمته فأن

يقال هزم على يد قائد سابق في جيش كسيلة أقل إهانة له من أن يقال هزم على يد امرأة بربرية محاربة (عقون، 2011: 58), وهذه شهادة ظلم للملكة تيهيا, بحيث أرادوا طمس حقائق ومزجها مع الخيال والأسطورة غايتهم العليا خدمة لتاريخ المنتصر, حتى ولو طعنوا في قدرتها على تسيير الرجال في ميادين الحروب, وهذا لترويج ضعفها كحال كل امرأة طاعنة في السن.

-العواطف الأنثوية و قضية نشر الشعر:

ونجد إشارة أخرى لا تقل خطورة عن ما سبقها وهو التركيز على تصرفاتها الأنثوية كعبارة " ...خرجت (الكاهنة) ناشرة شعرها..." وهي من تصرفات النساء دون الرجال عند الهلع والفزع.

ووضعت الملكة في صورة المرأة الضعيفة التي لا إرادة لها وذلك عند الالتجاء للعرب المسلمين الممثلين في شخص خالد , من أجل ضمان حماية لولديها دون سائر قبيلتها, فذكرها ابن عبد الحكم الذي يقول:''...خرجت (الكاهنة) ناشرة شعرها ...وإني لمقتولة فأوصيك بأخويك هذين خيرا,...ويكون أحدهما عند العرب أعظم شأنا منه اليوم فانطلق فخذ لهما أمانا فانطلق خالد فلقي حسان فأخبره خبرها وأخذ لابنيها أمانا" (ابن عبد الحكم، (د, ت): 271), وهنا نرى صورة جديدة للملكة تيهيا فقد وضعوها في موضع المرأة الخائنة الأنانية, التي تفضل حماية ولديها فقط, وترك قومها لمصيرهم, وهي ليست من صفات القائد الراجح, وبالمقابل إبرازا للقوة العربية, من خلال إخضاع العرب للملكة والفوز عليها,وقد عمد المؤرخون إلى تشويه صورة الملكة من خلال ذكر بعض تصرفاتها التي تدل على ضعف إرادتها وقلة رجاحة عقلها, وعمدوا لهذا لأنها أحرجت قائدا من أكبر قواد العرب.

وتختم المصادر التاريخية التي اختلفت حول مصير الملكة, فنجد المؤرخين المغربيين ابن عبد الحكم وابن خلدون يتفقان على قتل الملكة تيهيا في ميدان الحرب في قوله" ... وأوقع بهم وقتل الكاهنة, واقتحم جبل أوراس عنوة واستلحم فيه زهاء مائة ألف" (ابن خلدون، 2000: 13) (ابن عبد الحكم، (د, ت): 271), ونجدها عند الرقيق القيرواني (الرقيق القيرواني، 1994: 49) وابن الأثير (ابن الأثير، (

د, ت): 163) من بعده, ممن يرون أن الملكة فرت ولم تواجه حسان بن النعمان مثل الرجال, ولكن هذا الأخير تتبعها حتى ظفر بها وقتلها, أما المالكي (المالكي، 1994: 55- 56) والبكري (البكري، (د, ت): 31) أمسك العصا من الوسط فقد رويا أن الملكة تيهيا انهزمت في المعركة وفرت لجبل الأوراس لتتحصن فيه, ومنه يظهر تخبط المؤرخين في مصير الملكة تيهيا, ولا يتوانون إلى التنكيل التاريخي بها(الفرار), وفي فكرة فرارها تشكيك, لأن ليس من المعقول من جهة تؤمّن على حياة ولديها مع ابن النعمان, ثم تفر هي من قدرها المحتوم الذي قد كانت تعلم به مسبقا, فهنا نراها بصورة المرأة الضعيفة الخائفة على حياتها وليست قائدة هزمت جيشا بأكمله, .

في خضم هذه الأحداث لاحظنا أن المصادر تبرز لنا جانب من جوانب عاطفة الملكة تيهيا الأم من خلال خوفها على أبنائها وطلب الأمان لهم من طرف قائد الجيش الأموي, فهنا تسليط الضوء أكثر على مشاعر الأمومة كرمز أنثوي للملكة المرأة.

ومع كل هذا نجد الترويج لتعاملها مع السحر والشعوذة, بمعنى أن حسان بن النعمان لم يخسر أمام امرأة عادية بل كان يقاتل بين جيشين جيش من الأنس وجيش من الجن تقودهم امرأة كافرة تتعامل بالسحر والشعوذة, وهنا يصور لنا مشهدا جديدا بطله الجيش العربي, ملامحه أن الملكة تيهيا كانت تعرف بكل تحركات الجيش الأموي من خلال السحر, ولهذا هزم في المرة الأولى معها, ولكن حسان بن النعمان قد قتلها في نهاية الأمر بالرغم من كل ذلك, وعموما هي محاولة لمحو وصمت العار على الجيش الأموي, بخلق أسباب غيبية, والتركيز على تصرفاتها الأنثوية والجسدية لتشتيت الناس قصد تحويلهم عن الحقيقة.

الخاتمة:

تأخر تدوين الأحداث التاريخية للملكة تيهيا, جعل المدونون يمزجون فيها الخيال مع الأسطورة, ويقومون بفرز ما يتلاءم ومصالح السلطتين الدينية والسياسية, من تعظيم لواقع التوسع العسكري الأموي باعتباره المنتصر من جهة, ومحاولة الحط والتقليل من شأن كل معترض على التوسع, وتقديمه في صورة تحط من قدره, ولهذا نجد انتشار ظاهرة التركيز على الصفات الأنثوية للملكة تيهيا, كنشر

شعرها وإرضاع الكبير, وتسليط الضوء على مشاعر الأمومة كرمز أنثوي من خلال طلب الأمان لأبنائها من طرف قائد الحملة, وكل هذا غرضه الحط من شأنها, ولإخراجها في صورة المرأة الضعيفة المسلوبة الإرادة, وتصرفاتها اللا عقلانية في قضية حرق إفريقية كرمز للأنوثة من ناحية نقصان عقلها ودينها, وذلك لتمجيد إنجازات الفتح الأموي لبلاد المغرب, والحفاظ على ماء وجه القائد حسان بن النعمان, الذي هزمته امرأة من جبل أوراس على غير دين الإسلام, وإظهار القدرة الروحانية(الكهانة) كسلاح أساسي للهزيمة الذي لا سلطة لحسان بن النعمان عليه, وهذا شكل من أشكال الحرب النفسية التي كثيرا ما نجدها تسير مع كل توسع عسكري عبر التاريخ, فتاريخ ملكة جبل الأوراس عبارة عن تاريخ انتقائي يكتبه المؤرخ خدمة للمنتصر الذي يدين بالولاء والطاعة له.

ومع كل هذا نعتبر كل ما أوردته المصادر في حق الملكة تيهيا, اعترافا منهم لوجودها فعلا كعائق قوي أمام الفاتحين.

وأقترح البحث أكثر في موضوع المرأة بالمغرب الأوسط, لأن هذا الموضوع بشقيه (المرأة) و(المغرب الأوسط) يكتسي أهمية خاصة فيما يتعلق بالتاريخ الاجتماعي لفهم المنعطفات الحضارية لمجتمعات هذه المنطقة.

التعليقات:

تعليق رقم: 1

قرطاجنة: مدينة تقع في المنطقة الشمالية الشرقي من بلاد المغرب (تونس حاليا), أسستها الأميرة عليسة(عليشة), من أسرة ملكية تتواجد في مدينة صور الفينيقية, وكان ذلك سنة 814ق.م. (فرجيليوس، 1978: 68- 74).

تعليق رقم: 2

البربر: وهم السكان الأصليون لبلاد المغرب الإسلامي, والبربر عموما ينحدرون كما يقال من بقايا ولد حام بن نوح عليه السلام, ويتفق النسابة على أن البربر يتفرعون إلى فرعين كبيرين هما البتر والبرانس. (ابن خلدون، 2000: 174- 149 - 182), و زناتة: من

أعظم قبائل البربر, وتتكون من قبائل مكناسة, مغراوة وغيرهما من القبائل. (ابن خلدون، 2000: 26)

تعليق رقم: 3

...ونرى الإعراض عنه دينا... إنها عثرة لا تقال, وزلة لا تغتفر, وسيئة لا تكفير عنها, وكبيرة يجب المتاب منها والإقلاع بتوفيق الله عنها, والله حسبنا ونعم الوكيل. ينظر:أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي ..." (ابن عذارى المراكشي، 1983: 13)

تعليق رقم: 4

خالد بن يزيد العبسي: أو القيسي, جندي في جيش القائد حسان بن النعمان, أسر في معركة مع الكاهنة في وادي العذارى (ابن عذارى المراكشي، 1983: 27).

تعليق رقم: 5

حسان بن النعمان: هو حسان بن النعمان بن عدي بن بكر بن مغيث بن عمرو مزيقياء بن عامر بن الأزد , وهو من سلالة الغساسنة كان مقربا من خلفاء بني أمية وذا شخصية قوية وقائد عظيم في الشام, يلقب بالشيخ الأمين (ابن عذارى المراكشي، 1983: 31).

تعليق رقم: 6

خرجت (الكاهنة) ناشرة شعرها فقالت :يا بني انظروا ماذا ترون في السماء؟ فقالوا نرى شيئا في سحاب أحمر, قالت: لا وإلهي ولكنها رهج خيل العرب, ثم قالت لخالد بن يزيد, إني إنما تبنيتك لمثل هذا اليوم, و إني لمقتولة فأوصيك بأخويك هذين خيرا. فقال خالد إني أخاف إن كان ما تقولين حقا ألا يستبقيا, فقالت: بلى ويكون أحدهما عند العرب أعظم شأنا منه اليوم فانطلق فخذ لهما أمانا, فانطلق خالد فلقي حسان فاخبره خبرها, وأخذ لابنيها أمانا (ابن عبد الحكم، (د, ت): 229).

تعليق رقم: 7

مدينة باغاية: مدينة حصينة تقع على سفح جبل الأوراس, كان يسكنها الروم (ابن عذارى المراكشي، 1983: 35- 36).

المصادر والمراجع:

- الرقيق القيرواني أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم. (1994). **تاريخ إفريقية والمغرب.**(د,ط). القاهرة: دار الفرجاني للنشر والتوزيع.
- ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم. ((د, ت)). **الكامل في التاريخ**.ط1. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
- ابن عبد الحكم أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله. ((د, ت)). **فتوح مصر والمغرب.**(د, ط). (د , ب). (د, ن).
- المالكي أبو بكر عبد الله بن محمد. (1994). **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية**. ط2. بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.
- ابن عذارى المراكشي أبو عبد الله محمد. (1983). **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** .ط3. بيروت، لبنان: دار الثقافة.
- المراكشي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك. (2012). الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة. ط1. تونس: دار الغرب الإسلامي.
- البكري أبو عبيد. ((د, ت)). **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**. (د, ط). القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.
- ببليوس فرجيليوس. (1978). *الإنيادة* ط2. لبنان: دار العلم للملايين.
- ابن قربة صالح يوسف. (2012). **من قضايا التاريخ والآثار في الحضارة العربية الإسلامية**. (د,ط).عين مليلة، الجزائر: دار الهدى.
- ابن خلدون عبد الرحمن. (2000)**. العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**.(د,ط). بيروت: دار الفكر.
- عقون محمد العربي. (2011). الكاهنة في المصادر العربية بين الأسطورة والخطاب السياسي. **مجلة أسيناك** ،العدد 6 مزدوج. ص ص53- 68.
بن عميرة محمد. (1986). موقف الكاهنة من الفتح الإسلامي. **مجلة الدراسات التاريخية** ، العدد 2, الصفحات 15 - 28.

للإحالة على هذا المقال:

ـ وداد صالحي، قمعون عاشوري، (2022)، « **صورة الملكة تيهيا من خلال مصادر العصر الوسيط" قراءة في الصورة الأنثوية "**» . **المواقف**، المجلد: 18، العدد: 01، أوت 2022، ص. ص 308- 321.